اسم الدرس : تفسير سورة الأعراف (٧) | الآيات [٤٤ : ٥١]

تصنيف الدرس : مجلس تفسير

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

بإذن الله -عز وجل- نستكمل مجالس تفسير سورة الأعراف، هذا المجلس السابع إن شاء الله.

كنا قد توقفنا عند قوله ﷻ الآية (٤٤): {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ} [الأعراف ٤٤].

كنا قد تكلمنا في المرة الماضية في آخر مشهد لحظات دخول الجنة لأهل الجنة، وأهل الجنة في قمة الفرح، وأن الله ﷻ يُبشرهم أنهم ورثوا الجنة بأعمالهم بعد أن قالوا {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ} [الأعراف ٤٣].

وذكرنا في المرة الماضية أن الإنسان في تعامله مع ربه ﷻ حينما ينسب الفضل إلي الله فيقول الله ﷻ له "**بعملك**"؛ فلما قالوا {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ}، قال الله -عز وجل- لهم {بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف ٤٣].

ولكن الإنسان إذا استكبر على الله ﷻ وظن أن ما فيه من طاعة هو بقوّته دون الله -عز وجل-، فهذا يعاقبه الله ﷻ ويسلب منه ذلك، ففي معاملة الإنسان مع ربه لا ينبغي أن يتكبّر الإنسان على ربه، ولا أن يرى عمله، فلا يجوز أو لا يصح للإنسان أن ينظر إلى صلاته أو إلى قيامه أو إلى عمله، بل كقول الشاعر:

إذا لم يكن من الله عونٌ للفتى ** فأول ما يجني عليه اجتهاده

إذا لم يكن من الله عون للفتى: لو أن الله -عز وجل- لم يُعِن الإنسان؛ فأول شيء يجني على الإنسان هو اجتهاد هذا الإنسان، لأنه يجتهد بعيدًا عن المعية، وبعيدًا عن التوفيق والسداد.

بعد أن دخلوا الجنة، واستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، وإن كانت هناك أقوال بأن الآيات التالية في لحظات دخول أهل الجنة إلى الجنة، بعض أهل العلم من المفسرين قال {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} [الأعراف ٤٤] أي الذين قُضِيَ لهم بالجنة، ولكن لم يدخلوها بعد.

لكن الأغلب من المفسرين على أنه بعد أن دخل أهل الجنة الجنة، ودخل أهل النار النار –والعياذ بالله– ، وبقيت طائفة على الأعراف سنتكلم على الخلاف فيها.

فيقول ربنا بعد أن دخل أهل الجنة الجنة: {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} [الأعراف ٤٤].

مشهد عجيب أن أهل الجنة بالرغم من نعيم الجنة، بالرغم من كل ما في الجنة من أشياء تجعل الإنسان مشغولًا بالجنة وفَرِحًا بالجنة، والآيات جاءت بعدما دخلوا الجنة مباشرة.

يقول –سبحانه وتعالى–: {وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} [الأعراف ٤٣–٤٤] هم الآن يُبشرون بوراثة الجنة، ومباشرة من أوائل الأشياء التي يتذكرها أهل الجنة، والتي قد تشغلهم عن بعض نعيمهم في الجنة، أن ينادوا على أصحاب النار.

- ولكن لماذا إنسان في الجنة، ومشغول بنعيم الجنة ولذات الجنة، يُصَرّ على أن ينادي على أصحاب النار؟
- لماذا من النعيم الذي يُعطاه أهل الجنة أن يُسمح لهم بالنداء على أهل النار؟ لماذا؟ لماذا ينادي أهل الجنة على أهل النار بعد أن دخلوا الجنة؟

ويخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– في هذه السورة تحديدًا بهذا النداء {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ} [الأعراف ٤٤] بعد أن أصبحوا ملازمين مصاحبين لها، أصبحوا من أصحاب الجنة وتَيَقّنوا من دخولهم الجنة، وهذا مما رجّح قول جمهور المفسرين أنهم دخلوا الجنة بالفعل {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا} [الأعراف ٤٤].

أولًا: لماذا ينادون؟

ثانيًا: هل النداء عام أم خاص؟

ثالثًا: لماذا حينما ينادون عليهم يذكرون قضية الوعد؟

- أول شيء لماذا ينادون؟ وهذه مرتبطة بمسألة عام أو خاص، أي هل كل أصحاب الجنة ينادون على كل أصحاب النار؟ أم مجموعات في الجنة بعينها تنادي على مجموعات خاصة في النار بعينها؟ أي ليس كل أهل الجنة ينادون على كل أهل النار.

الجواب: مجموعة بعينها في الجنة تنادي على مجموعة بعينها في النار، على الذين كانوا يعذبونهم، الذين كانوا يستكبرون عليهم، يُذْهب الله ﷻ غيظ قلوب أهل الجنة بأن يعطيهم هذا النعيم، لا يكتمل نعيم أهل الجنة إلا بالتَّشفي من الذين كانوا يعذبونهم في الدنيا.

لأن جزء كبيرًا من أهل الجنة مات ولم يَر النصر بعينيه، لم يُذْهب غيظ قلبه في الدنيا، فينتظر هذه اللحظة، جزء كبير من الذين ماتوا مُستَضعفين من أهل الجنة من أهل الإيمان ماتوا دون أن يروا بأعينهم ولا أن يَتشفَّوا، دون أن يروا عذاب أهل النار.

فينتظر الواحد منهم هذه اللحظة، ويظل يتذكر، وبمجرد دخوله الجنة ينادي على أهل النار تحديدًا، ينادي على أشخاص بعينهم، أتذكر يا فلان؟ وينادون ويقولون {أَن قَدْ} بالتوكيد {وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا}.

- قضية اليقين في الوعد: كان أهل الإيمان في الدنيا موقنين بموعود الله، بمعنى أن المشهد هنا غالبًا ما بين أهل الإيمان المستضعفين لأن قضية المستضعفين والمستكبرين، أو الأتباع والقادة ذكرناها في الدرس الماضي في: {وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ} [الأعراف ٣٩]، عندما أخبرنا الله –سبحانه وتعالى– أن هناك مستضعفين سقطوا في الامتحان وأصبحوا أتباعًا للقادة، أي هناك مستضعفون كافرون، ومستضعفون أصرّوا على الإيمان.

فانتهى الكلام عن المستضعفين الكافرين الذين أصبحوا أتباعًا للقادة، هل كل الذين كانوا مستضعفين في الدنيا كانوا أتباعًا للكافرين أم من بينهم من قاوم وصبر وصابر؟

فيخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– أن هناك أناسًا من أهل الإيمان بالرغم من استضعافهم ومن قلة عددهم وعتادهم وزادهم في الدنيا؛ إلا أنهم رفضوا وَأَبوا أن يسيروا خلف هؤلاء القادة.

فكان هؤلاء القادة من الكفار يُعَيّرُونَهم ويَسخرون منهم، فيقول الكافر منهم للمؤمن هل تعتقد أن إيمانك سينفعُك؟ {غرّ هؤلاء دينهم} [الأنفال ٤٩]، أنا السيد، أنا الذي أعذبك، أنا الذي أضربك، ماذا سيصنع لك ربك؟ ماذا سيفعل لك إيمانك؟

وكان أهل الإيمان موقنين بموعود الله أن الله سينصر هذا الدين، وأن الله ﷻ سيُدخلنا الجنة، وأننا سيأتي علينا يوم ننسى كل هذا الألم، وننسى كل هذا العذاب، صدّقوا بالموعود؛ فأتت هذه اللحظة التي كان ينكرها القادة، وكان يسخر منها القادة الكفار.

كانوا يسخرون من هذه اللحظات، فتأتي هذه اللحظات، فيقوم أهل الإيمان ليُذكّروا هؤلاء المستكبرين، وكل واحد منهم يُذكّر شخصًا أو مجموعة، فيقول له: لقد وجدت ما وعدني ربي، لقد نسيت كل الآلام بغمسة واحدة في الجنة، نسيت كل شيء، لقد كان الموعود حقًا، لقد ذُقتُ النعيم، لقد نسيت الألم، فهل ذقت أنت ما كنتُ أقوله لك؟ هل ذقت الجحيم؟ هل ذقت الغسّاق؟ هل الآن ارتديت سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار، هل ذقتَ هذه الأشياء؟

{أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} [الأعراف ٤٤] الذي كنتم تنكرونه، "فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا" للتشفّي لزيادة إذلاله، هذا لون من ألوان العذاب اسمه "العذاب النفسي"، وهذا موجود في الدنيا، من أول المعيشة الضنك للعاصي والكافر إلى أن يستمر العذاب النفسي، ومنها عذاب التبكيت، يُبكّت الكافر، يُبكّته الشيطان ويُندّمه الشيطان، وتُبكّته الملائكة، ويُبكّته أهل الإيمان.

الكل يُحسّرونه، يقولون له ألم نقل لك؟ الملائكة تقول لهم: ألم تأتيكم رُسُل ربنا؟ ثم يأتيهم المؤمنون يقولون لهم: {فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} [الأعراف ٤٤] نحن وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا.

مسألة أنه بالرغم من الاستضعاف والتعذيب والآلام والفقر التي كان يمر بها أهل الإيمان إلا أنهم كانوا موقنين بالوعد وهذا أمر صعب.

الابتلاءات والظروف تجعل الإنسان ينسى وعود الله، ينسى الجنة، ينسى لذة النظر إلى وجه الله، ينسى نسيم الجنة، ويعيش ويستغرق في لحظات وآلام الدنيا، أن يستمر الإنسان مُحافظًا على هذا اليقين بالرغم من كل الآلام هذا أمر صعب، لذلك يفتخرون بيقينهم في الوعد.

من هم المؤمنون حقًا؟

عندما {قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا} [الحجرات ١٤] الفارق بين إسلام الأعراب الذين ادّعوا ذلك وبين إيمان الأصحاب، أصحاب النبي ﷺ، الذين صبروا على الإيمان بالرغم مما لاقوه من آلام، ومن تعذيب، ومن فقر.

{قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا}، لم يأت الأوان بعد {وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ}.

حسنًا، ما هو تعريف الإيمان حتى نقيس أنفسنا عليه؟

قال ربنا –سبحانه وتعالى– في الآية التي تليها {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ} –آخر سورة الحجرات– {إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ} [الحجرات ١٥].

حتى تُسمّى صادقًا في دعواك..، أنت تدعي أنك مؤمن {قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ} [الحجرات ١٤] هذه دعوى، ولابد لكل دعوى من بيّنة، أنت تدعي أنك مؤمن، قد تتلفظ بألفاظ الإسلام، قل أسلمت ولا تقل آمنت، فالإيمان في القلب ولا يظهر هذا الإيمان الذي في القلب إلا بالبلاء، إلا بالتضحية، إلا بالبذل، هكذا يظهر الإيمان.

فيخبرنا ربنا –سبحانه وتعالى– أن الإيمان مراحل وليس تمتمة بكلمات وتقول أسلمت، الإيمان مراحل: إيمانٌ، فيقينٌ، فجهاد.

{إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ} [الحجرات ١٥]

هذه هي المرحلة الأولى، أن يعايش معاني الإيمان ويذوق طعم الإيمان.

هذا الإيمان لا يلبث إلا أن يمر بابتلاءات، وعواصف، ورياح، وظروف، وقسوة، وشدة، فإذا ظل هذا الإيمان ثابتًا راسخًا لا يتحرك بالرغم من كل هذه العواصف والزلازل، فهذه مرحلة {ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ} أي لا يصيبه الشك، لا يصيبه الريبة، لا يرتاب في موعود الله، هذه إفادة {ثُمَّ}، فثم تفيد التراخي، أنه **يظل مرحلة** حتى ينتقل من مرحلة الإيمان إلى مرحلة اليقين {ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ} [الحجرات ١٥].

لم يعد هناك ريب، أصبح إذا رأى شيئًا يعجبه بكل بساطة قال" اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة"، إذا تعرّض لألم أو إلى بلاء يقول "إنما هي ساعة دون ساعة، إنما هي لحظات ونلحق بالجنة"، هكذا يُذكّر نفسه دائمًا بموعود الله، هذه هي مرحلة {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ}.

- ومن علامات عدم الريبة في الإيمان المرحلة الثالثة {وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ} [الحجرات ١٥]، الذي لا يصل إلى هذه المرحلة الثالثة: البذل والتضحية، وبذل الجهد والجهاد، والمجاهدة بالمال والنفس، الذي لا يصل لهذه المرحلة هو لم يعبر على قنطرة {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ}.

أي أن الآية تتضمن ثلاث مراحل:

{إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ} [الحجرات ١٥] لذلك عُطفت بالواو وليس بثم، فبمجرد أن وصلوا إلى مرحلة {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ}، جاهدوا مباشرة بأموالهم وأنفسهم

تعريف هؤلاء: {أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ} [الحجرات ١٥] لمن يسأل عن الصادقين لمن يسأل عن صدق دعواه: هل مررت بهذه المراحل؟ {ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ}

هؤلاء ذاقوا طعم اليقين، الذين قالوا {وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً} [الأعراف ٤٤].

هذا الوعد هو الذي كان يصبرنا في الدنيا.

ما الذي يصبرنا على البلاء وعلى الفقر وعلى الألم وعلى الشدة **إلا أن نستحضر وعود الله؟**

ما الذي يصبر المؤمن إلا أنه بين كل لحظة ولحظة يتنسم ريح الجنة؛ هذا ما يصبره على هذه الدنيا، فمجرد أن يدخل –الجنة– يقول: لقد نلت الأمنية، وجدت هذا الوعد حقيقةً وصدق المرسلون.

لذلك كان من تعريف الإمام الهروي في "منازل السائرين"، وابن القيم عندما شرح المنازل في "مدارج السالكين"، وتكلم عن منازل الذوق، أن الإيمان ليس مجرد أشياء نتنسمها بل أصبحت تتذوقها.

فذكر من مرتبة الذوق: اليقين، ذكر أول منزلة، قال: "ذوق التصديق طعم العدة".

"ذوق التصديق طعم العدة"، العدة: بمعنى الوعد،

فالوعود التي تقرأها، مثلًا من فعل كذا فله كذا وكذا في الجنة.

عندما تعمل العمل، تصبح موقنًا أن الآن حدث في الجنة هذا الوعد، فتزداد يقينًا وبذلًا.

عندما تصل لهذه المرحلة، أصبحت تربط دائمًا بين أفعالك في الدنيا وبين ما يحدث في الجنة {فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ} [الروم ٤٤] بما يحدث في الجنة، فتصبح على يقين بأفعالك.

فانتقلوا إلى ذوق اليقين، ذاقوا طعم اليقين حقًا.

- فقالوا بمجرد دخولهم {وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} [الأعراف ٤٤]

ما كنتم تسخرون منه بالوعود هل وجدتموه؟

هل وجدتم الحيات والعقارب والأفاعي وجهنم والمطارق من حديد؟

هل وجدتم هذا؟

قالوا نعم، لا مجال للإنكار، لا مجال لتخبأة مشاعره.

عندما يشمت أحدهم بك وتريد أن تخفي شعورك، فمثلًا تذهب إلى شخص راسب فتؤنبه وتقول له "ألم أنصحك أن تذاكر؟ هل أنت سعيد برسوبك الآن؟" فيخبرك أنه سعيد، بل أنه كان يريد أن يرسب، فتجده يخفي مشاعره عنك.

فهؤلاء من أهل النار لا يستطيعون إخفاء هذه المشاعر {قَالُوا نَعَمْ} [الأعراف ٤٤]، اعترفوا.

كيف سيواري سوأته؟

كيف سيواري هذا الوجه -والعياذ بالله- الذي شوه من نار جهنم؟

وهذا أحد معاني {يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ} [الأعراف ٤٦] أي بتشويه النار لوجوههم -والعياذ بالله-.

{قَالُوا نَعَمْ} [الأعراف ٤٤]، في هذه اللحظة حينما اعترفوا {أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف ٤٤] كانت خصومة بينهم والآن هذا يسمونه يوم الأذان.

لذلك كان بعض السلف حينما ينصح الحكام كطاووس وغيره يذهبون إلى الحكام يقولون: اتقوا يوم الأذان، حينما يفصل بيننا الله، {فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ} [الأعراف ٤٤] الطرد من رحمة الله، لم يعد هناك مجال للتراجع.

{لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ} [الأعراف ٤٤] من هم الظالمون؟

{الَّذِينَ} [الأعراف ٤٥] لهم ثلاث صفات:

١-الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ الله.

٢-وَيَبغونها عِوَجاً.

٣-وَهُم بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ.

سورة هود فيها الآية نفسها لكن {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [هود ١٩]، فجاءت "هم" زيادة في التأكيد؛ بسبب زيادة الإجرام.

هنا {وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ} [الأعراف ٤٥].

تعالوا نتأمل مواصفات الذين استحقوا بهذه المواصفات -والعياذ بالله- استحقوا اللعنة والطرد، ووسم ووصف الظالمين، وهؤلاء هم الذين كانوا تحديدًا ينادونهم أهل الإيمان.

أهل الإيمان كانوا ينادون على هؤلاء تحديدًا، ليس كل عاصٍ، لا بل كانوا ينادون على هؤلاء الظلمة تحديدًا، كما فعل النبي ﷺ بعد معركة بدر، ونادى على أبي جهلٍ وغيره من القادة الظلمة المستكبرين، وقال لهم (هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟)، حتى تعجب عمر: يا رسول الله تنادي أناسًا قد أصبحوا جيفًا، فقال: (يا عمر لست أسمع منهم الآن)[1]، هم الآن يسمعون ندائي، يحسرهم النبي ﷺ.

نفس الآيات {هَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} وأخبرهم النبي ﷺ أنه وجد وعد الله في النصر.

[1] [عن عبدالله بن عمر:] وَقَفَ النبيُّ ﷺ على قَلِيبِ بَدْرٍ فقالَ: هلْ وجَدْتُمْ ما وعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ثُمَّ قالَ: إنَّهُمُ الآنَ يَسْمَعُونَ ما أقُولُ، فَذُكِرَ لِعائِشَةَ، فقالَتْ: إنَّما قالَ النبيُّ ﷺ: إنَّهُمُ الآنَ لَيَعْلَمُونَ أنَّ الذي كُنْتُ أقُولُ لهمْ هو الحَقُّ ثُمَّ قَرَأَتْ {إنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتى} [النمل: ٨٠] حتى قَرَأَتِ الآيَةَ
البخاري (ت ٢٥٦)، صحيح البخاري ٣٩٨٠ • [صحيح]

فوعد الله لأهل الإيمان إما بالنصر في الدنيا، أو بالجنة يوم القيامة.

فإذا مات الإنسان المؤمن المستضعف ولم يذق طعم النصر في الدنيا، انتظر طعم الجنة يوم القيامة.

هذا الذي مات مستضعفاً منتظرًا لطعم الجنة يوم القيامة، هذا لم يستعجل من أجره شيئًا، ادخر له أجره كاملًا يوم القيامة.

{فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٱلَّذِينَ} [الأعراف ٤٤]

أول وصف: {يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [الأعراف ٤٥]

المفسرين اختلفوا هل يصدون فعل لازم بمعنى يصدون أنفسهم؟

أم فعل متعدي؟

والغالب أنه فعل متعدي.

{يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ} [الأعراف ٤٥] صد، حائط صد يضعونه، صدود حتى لا يسير الناس في الطريق إلى الله.

إذًا أهل الباطل يعرفون سبيل الله جيدًا ثم يأتون إلى هذا السبيل ويضعون الصد والمنع؛ حتى لا يسلك الناس هذا الطريق، {ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن} [الأعراف ٤٥] عن: يسمونه حرف مجاوزة، حتى يتجاوزوا، ينصرفوا إلى طريق آخر.

مثل الذي أراد فعله من في أول السورة؟ الشيطان، حينما قال ماذا؟

حينما قال {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ} [الأعراف ١٦] **هم يعرفون الصراط، يعرفون السبيل، الشيطان اختار القعود وليس وضع المصدات.**

الشيطان سيقعد {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ} [الأعراف ١٦].

هؤلاء اختاروا طريقًا آخر كأن شياطين الإنس والجن ينوعون في طرق الصد عن سبيل الله.

كيف يصدون عن سبيل الله {الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ}؟ كيف يصدون عن سبيل الله {وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا}؟

ما معنى {وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف ٤٥]؟

- **أريدكم أن تنتبهوا معي لأن هذه الجملة "يبغونها عوجًا" أو "تبغونها عوجًا" وردت خمس مرات فى القرآن، مرتين فى الأعراف: مرة في هذا موطن، ومرة مع قوم شعيب {وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف ٨٦].**

مرتين فى الأعراف ومرة في هود ومرة في آل عمران مع شبهات النصارى ومرة فى سورة إبراهيم مع المستكبرين الذين يعذبون أهل الإيمان؛ فجاءت في خمسة مواطن.

تكرار هذه الكلمة لها دلالة، بهذا النص "يبغونها أو تبغونها عوجًا" والصد عن سبيل الله، هذا السياق تكرر.

- إذًا ما معنى {يَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف ٤٥]؟

جمهور المفسرين،

*القول الأشهر: الهاء {يَبْغُونَهَا} الهاء: تعود على ماذا؟

*قول القلة أنها تعود على الدنيا.

الجمهور لم يختر الدنيا، اختار ماذا؟ سبيل الله

إذًا لماذا اختاروا سبيل الله؟

قالوا أن عندنا قاعدة تقول أن الضمير يعود على أقرب مذكور.

أقرب مذكور هي كلمة ماذا؟

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا.

فلو حذفنا المضمر ووضعنا الاسم الظاهر يصبح الكلام:

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغون سبيل الله عوجًا.

فالقول الأشهر أن الهاء تعود على ماذا؟ سبيل الله.

وما معنى يبغون سبيل الله عوجًا؟

إذًا سنقسمها: إذا كانت الهاء تعود على السبيل، يصبح لها أكثر من معنى، وإذا كانت الهاء تعود على الدنيا، فالمعنى: يريدون الدنيا معوجة، يريدون الدنيا مفتوحة كي يفعل ما يريد ويشتهي، أن يتبع الشهوات.

أما إذا كانت الهاء تعود على سبيل الله –وهذا هو القول الأشهر والجمهور والأكثر– فاختلفوا في معنى "يبغونها عوجًا".

يبغون: أي يطلب لك شيئًا –وأحيانًا تحذف اللام مثل قول الله –عز وجل– {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} [التوبة ٤٧] في سورة التوبة– {يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} يريدون لكم الفتنة أي يريدون فتنتكم.

فيبغونها عوجًا: يريدون لسبيل الله العوج، ما معناها؟

نحن نحاول أولًا تفسير الألفاظ حتى ندخل في المعاني.

ما معنى يريدون لسبيل الله العوج؟ أحد المعاني أن سبيل الله طريق مستقيم {لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [الأعراف ١٦]، أي أن هناك صراطًا مستقيمًا وهو سبيل الله.

هم يأتون عند السبيل ويريدون أن يظهرون هذا السبيل يظهرونه للناس على أنه أعوج، وليس طريقًا مستقيمًا، فيصرفون الناس عن السير، كيف يفعلون ذلك؟ بالشبهات مثلًا.

بمعنى، يريدون الناس عندما ينظرون إلى طريق الله، يبغضون الناس في هذا الطريق، فيرون هذا الطريق أعوجًا صعبًا، صعب السير فيه، فيضعون العراقيل والشبهات والفتن والمكاره أمام هذا الطريق، مثلما فعل الشيطان في نفس السورة {قَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ} [الأعراف ٢٠]، يبغضهم في أمر ربنا، فالناس ينظرون إلى سبيل الله على أنها معوجة.

فأحد معاني يبغونها عوجًا: يلتمسون لها العوج عن طريق الشبهات والفتن، فيضعون شبهات في طريق الله، ويضعون فتنًا في طريق الله فالناس لا تستطيع السير، بل إذا ساروا في الطريق لم يصلوا لأن الطريق أصبحت بالنسبة لهم معوجة.

هم يريدون للطريق المستقيم أن يكون أعوجًا، مثل أهل البدع عندما يقولون للناس تعالوا نرشدكم لطريق الله بأساليب أخرى تمامًا، فيرشدونهم لطريق آخر معوج، يغير مسار الطريق.

وأحد معاني يبغونها عوجًا أيضًا: يلتمسون لها العوج، أي أنهم لا يريدون أن يكون دين الله مستقيمًا، فطريق ربنا حلال وحرام مستقيم واضح، أما هم فيريدون أن تكون الحياة معوجة؛ فيفعل ما يريده.

فبالتالي يبغونها عوجًا: أي يدخل الشهوات على الدين ويشرعن هذه الشهوات، يقوم بشرعنة هذه الشهوات، فيصبح طريق الله -عز وجل- أعوجًا وليس مستقيمًا. **كيف؟**

أنه مثلما قال {والله أمرنا بها} [الأعراف ٢٨]، لما يفعل الفاحشة -هنا في السورة-، {والله أمرنا بها} [الأعراف ٢٨] فدائمًا يوصلون طريق الله للناس عبارة عن طريق معوج مليء بالشهوات.

فيلتمسون لسبيل الله عوجًا عن طريق الشبهات، الفتن، الشهوات، كل هذه الأشياء تجعل الناظر إلى طريق الله والسائر في طريق الله لا يصل.

الشيطان قال سأجلس على الطريق، سأتركه مستقيمًا وأجلس، أما هؤلاء فقالوا سنغير مسار الطريق حتى لا يصل أحد، فالذي لا يسير خلف هؤلاء وسار في الطريق المستقيم وجلس، من سيقابل؟ سيقابل الشيطان أيضًا.

فأنت في كل الأحوال لابد من فتن فى الطريق.

هؤلاء قالوا لا لن نقدر على صد المؤمنين عن سبيل الله، هناك ثبات وهناك قوة؛ لذا سنحاول أن نجعل الطريق معوجًا، عوجًا أي عوج في الطريق.

لذلك ربنا في السورة التي تصرف عنك الفتن، والفتن بمعنى أنها تجعلك تنصرف عن الطريق، ما هي السورة التي تصرف عنك أكبر فتنة؟

سورة الكهف تصرف عنك أكبر فتنة، ما هي هذه الفتنة؟

الدجال

الفتن تجعلك تنحرف عن الطريق.

فى بداية السورة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا} [الكف ١]، لا أحد يستطيع أن يجعل القرآن معوجًا، فتحمد الله على هذه النعمة، لأن الفتن ستجعلك تبتعد، إذًا ما الذي يثبتني في الطريق؟

تريد شيئًا فى الطريق ثابتًا لا يعوج أبدًا: هو القرآن.

فإذا تمسكت بالقرآن سرت على الطريق المستقيم، كنت مستمرًا على الطريق المستقيم.

هل اتضح المعنى؟

فيبغونها عوجًا:

*الإمام الطبري قال: لا يريدونها مستقيمة، لا يريدون أن يكون الطريق مستقيمًا، كيف يريدونه؟ معوجًا.

*وقال بعضهم: يلتمسون لها الشبهات والفتن.

*وقال بعضهم يجعلون الطريق مناسبًا لأهوائهم. يغير مسار الطريق، تخيل مثلًا الطريق المستقيم، هذا حرام هذا حرام وهذا حلال وهذا حلال وهذا حلال.

السادة القادة المتبوعين يأتي على جزء فى الدين ويغيرها حتى تناسب هواه، يؤولها يقوم بلي عنق النص حتى تناسب هواه، يأخذ من الدين مثلًا طاعة أولي الأمر، ويترك تطبيق الشريعة، فيكسر جزءًا، ويأتي في موضع آخر من الدين ويلوي جزءًا منه، يقوم بلي الطريق، فماذا يصبح الطريق في النهاية؟ أعوجًا. لأن هذا ليس هو الدين.

الدين متكامل، هو يختار جزءًا، ويترك جزءًا، ويختار جزءًا، ويترك جزءًا، فيصبح الطريق الناظر إليه يراه معوجًا وليس هذا هو طريق الله.

فقالوا يقومون بشيء يقوم باعوجاج الطريق حتى يناسب أهواءهم.

يختار من الدين ما يناسب هواه ويترك من الدين ما لا يناسب هواه.

*وقال بعض أهل العلم –وذلك القول الأقل انتشارًا– كان مرويًا عن بعض السلف، {يَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف ٤٥] أن عوج هذه حال منهم هم، بمعنى أنهم يريدون أن يسيروا في الطريق ولكن بفكر ضال، وذلك عن طريق البدع والضلالات، أو أنهم يخترعون شيئًا في الدين، كالسجود للآلهة كما روي عن ابن عباس أنهم يسجدون للآلهة ويقولون أن هذه الآلهة سوف تقربنا إلى الله.

لذا فكلمة {يَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف ٤٥] والخلافات فيها، في عن إذا ما كانت الهاء تعود إلى سبيل الله أم إلى الدنيا والخلافات.

هذه الكلمة تعطي معانٍ واسعة جدًا، وهذا من إعجاز القرآن، واختار كثير من أهل العلم أو بعض أهل العلم أنه عندما تكون المعاني كثيرة وليست متنافرة، نحمل القرآن عليها كلها، وهذا من إعجاز القرآن، أننا يمكننا أن نحمل هذه الآية على كل هذه المعاني.

فكيف يصدون عن سبيل الله؟

١. اختيار ما يناسب هواهم.

٢. وضع الشبهات والفتن.

٣. اختراع دين جديد كالطواف عراة أو الآلهة.

٤. صد الناس وتعذيب من يسير في هذا الطريق.

كل هذه من معاني {يبغونها عوجًا}

٥. اختيار الدنيا {يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ} [إبراهيم ٣] أيضًا في سورة إبراهيم {وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف ٤٥]، فلما استحبوا الدنيا على الآخرة صدوا عن سبيل الله.

{يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ} [الأعراف ٤٥] نجد –أريدكم أن تعيروني انتباهكم– أن يصدون: فعل مضارع ويبغونها: فعل مضارع

{وَهُم بِالْآخِرَةِ} [الأعراف ٤٥] هذه جملة اسمية أم فعلية؟

جملة اسمية؛ بدأت بالضمير "هم"، ضمير من الأعلام اسم.

{وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ} [الأعراف ٤٥] مسألة الصد ومحاولات أنهم يبغون لسبيل الله العوج مسألة متكررة بأساليب مختلفة، بينما اليقين الثابت عندهم "الكفر بالآخرة"، الدافع أنهم لا يريدون آخرة.

مسألة رفض الكفار للآخرة هذا أمر عندما تدرسه في القرآن بعد كل شوط طويل من مجادلة الكفار وشبهات الكفار؛ يخبرنا الله -سبحانه وتعالى- دعك من كل هذه الشبهات، **الدافع الرئيسي أنهم لا يريدون الآخرة.**

فمثلًا بعد شوط طويل من مجادلتهم وشبهاتهم في سورة الفرقان يقول الله {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ} [الفرقان ١١]، دعك من قضية أن القرآن نزل على شخص آخر وهو من علمك.

أو ماذا لو كان ربنا نزل عليك الجنات؟ ... مجادلة طويلة في سورة الفرقان، يقول الله في آخرها دعك منهم، الدافع الرئيسي {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ} [الفرقان ١١].

كما قال ربنا في سورة القيامة {بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} [القيامة ٥]

ما معنى ذلك؟ بم سأستفيد من هذا الموضوع في واقع الحياة؟

كثير من الشبهات التي يأتي بها الملحد، الكافر، الفاجر، ويريد بها أن يبتعد عن الطاعة، يأتي لك بهذه الشبهات، فيخبرك أنه ليس مقتنعًا، هذا الأمر مخالف للعقل، وهكذا، يجلب لك حجج والدافع الرئيسي أنه لا يريد الآخرة، لا يريد أن يحاسب، لا يريد يومًا يحاسب فيه، لا يريد تكليفًا.

أظن أنني قد تكلمت في هذه القضية من قبل، مسألة أن **من أسباب الضلال الرئيسية الهروب من التكليف**، في موضوعات سورة البقرة؛ لذلك ختمت سورة البقرة {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [البقرة ٢٦٨].

من أهم أسباب الضلال المراوغة من التكليف، فتجد أنه يصد عن سبيل الله بأساليب مختلفة، يجرب مرة طريقة ومرة طريقة أخرى، {وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف ٤٥] يجرب الشهوات، يجرب الفتن، يجرب الشبهات؛ لصد الناس عن سبيل الله.

الثابت الذي لا يتغير هو الاسم، أما الجملة الفعلية فتناسب التغير والتجدد والاستمرار: فمثلًا عندما يقال أن شخصًا يلعب، فهو لا يلعب طوال الوقت ولكن يلعب كل فترة وأخرى.

ولكن هناك شخص اسمه أحمد، فهو دائمًا اسمه أحمد، هو شيء ملازم له، فأصبح اسمًا، لذلك الثابت معهم أنهم {بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ} [هود ١٩] هذا هو الثابت –الكفران بالآخرة– وجاءت بصيغة اسمية.

إذًا، فأهل الإيمان دخلوا الجنة، بمجرد دخولهم الجنة من أوائل ما تذكروه في الجنة: الذين كانوا يستكبرون وكانوا يعذبونهم، فنادوا عليهم: لقد وجدنا وعد الله، فهل وجدتم وعد الله؟

{قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ} [الأعراف ٤٤] أي لن تنال الرحمة أشخاص معينين من هم؟ الذين كانت هذه صفاتهم الذين كانوا كفارًا بالآخرة، كانوا يصدون عن سبيل الله، لأن الكافر الذي يصد عن سبيل الله عذابه أعلى من الكافر الذي لا يصد عن سبيل الله {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ} [النحل ٨٨]، لذا فزيادة العذاب بالصد عن سبيل الله.

{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ} [الأعراف ٤٦] بينهما: بين من ومن؟ أهل الجنة وأهل النار...حجاب أي هناك سور بينهم.

{وَعَلَى الْأَعْرَافِ} [الأعراف ٤٦] أي وعلى هذا السور، وسمي الأعراف لأنه عالي كعرف الديك، الشيء العالي الذي يشرف ويرى الأشياء.

{وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ} [الأعراف ٤٦] لذا فبين أهل الجنة وأهل النار سور، وعلى هذا السور رجال. ليس المقصود رجالًا بمعنى رجال دون نساء، لا، بل مجموعة فيهم الرجال والنساء وتغليبًا ذكر الرجال.

{رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ} [الأعراف ٤٦] "**كلا**" من هم؟ يعرفون من ومن؟ أعيروني انتباهكم لأن هذه الآيات قد تختلط عليكم.، يعرفون من ومن؟ يعرفون أهل الجنة ويعرفون أهل النار.

مرة ثانية، أهل الجنة دخلوا الجنة، ذاقوا وعد الله، استبشروا، أرادوا أن يشفوا ويذهبوا غيظ قلوبهم؛ فنادوا على أهل النار.

- هناك فريق آخر موجود بين أهل الجنة وأهل النار وسمع لهذا النداء، فتكلم، هذا الفريق الموجود بين أهل الجنة وأهل النار على الأعراف، يعرف الفريقين، يعرف هؤلاء المستضعفين من أهل الإيمان، ويعرف هؤلاء المستكبرين، يعرف الاثنين جيدًا.

{يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ} [الأعراف ٤٦] هذا هو موقعهم وهذه هي معرفتهم.

فماذا يقولون؟ {وَنَادَوْا} [الأعراف ٤٦] على من ينادون في البداية؟ سينادون على أصحاب الجنة ثم ينادون على أصحاب النار.

إذًا لدينا أهل الجنة تكلموا أولًا، ثم أهل الأعراف تكلموا ثانيًا، ثم أهل النار تكلموا ثالثًا.

وهذا الترتيب هو الذي جعل أيضًا الكثير من المفسرين يقولون أن أهل الاعراف هم منزلة وسطى بين الجنة والنار.

تعالوا نتكلم أولًا من هم أهل الأعراف والخلاف الذي فيهم.

من أهل الأعراف؟

اختلف المفسرون من هم أهل الأعراف:

*جمهور المفسرين أن هؤلاء منزلة أقل من منزلة أهل الجنة، وأعلى من منزلة أهل النار، هذا هو قول جمهور المفسرين، أن حسناتهم لم تصل إلى مرتبة تدخلهم الجنة وأن سيئاتهم لم تصل إلى مرتبة تدخلهم النار. من هؤلاء؟ أهل الأعراف.

من الذي اختار هذا القول؟ جماهير المفسرين، ورجحه الطبري وابن كثير وغيره من المفسرين.

إذًا دعونا نُقَسِّم حتى يكون الموضوع مرتبًا في أذهاننا، "أهل الأعراف" المفسرون انقسموا لقسمين:

أناس مذنبين وأناس أفاضل.

فهناك من قال أنهم أناس جيدين جدًا جدًا جدًا، وآخرون قالوا أنهم أناس متوسطين.

ماذا قال عنهم جمهور المفسرين؟

*قالوا عنهم أنهم أناس متوسطون أي تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، هذا قول جمهور المفسرين.

*هناك مفسرون قالوا لا، لأن كلمة على الأعراف، والأعراف تعني سور عالي، وهؤلاء أناس سينادون على أهل الجنة وأهل النار في هذا الموقف العصيب، هذا يدل على أن هؤلاء أفاضل.

إذًا سنقسم الأقوال عن أهل الأعراف، البعض قالوا أن هؤلاء أفاضل وهم قلة، والأكثر قالوا لا، بل هؤلاء أناس توسطت حسناتهم وسيئاتهم.

الذين قالوا إنهم أفاضل اختلفوا، قال بعضهم أنهم العلماء الفقهاء الصالحون وقال بعضهم أن هؤلاء الملائكة وقال بعضهم أن هؤلاء الشهداء.

وكما قلنا أن قول جمهور المفسرين عكس هذا القول وترجيح كثير من المفسرين كالطبري وابن كثير وغيرهم، وأنا أميل أيضًا لقول الجمهور ليس إلى هذا القول، لكن عندما تقابل هذا القول، تعرف أنه موجود.

بالطبع لن نناقش الأقوال لأن كل من قال الملائكة، إذًا كيف ذلك وربنا يقول على الملائكة رجال؟ فقال ليس المقصود بها رجال ربنا قال {رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ} [الجن ٦] فليس المقصود "رجال" بمعنى ذكور، بل ليسوا إناثًا –لأن المشركين كانوا يقولون على الملائكة إناثًا–، المهم هناك شد وجذب طويل، وبعض من اختار من المفسرين أنهم الشهداء والأفاضل قال أن كلمة رجال تأتي في القرآن دائمًا ممدوحة.

{وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ} [القصص ٢٠]

{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ} [النور ٣٧]، فهنا يكون فيها نوع من المدح فقال لا يجوز أن يكون فيها موطن ذم.

لكن جمهور السلف المروي عن حذيفة وابن عباس وغيرهم أنهم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم.

إذًا كيف تساوت حسناتهم مع سيئاتهم؟

كثير من المفسرين تركها مفتوحة هكذا وقال أنهم عملوا طاعات لم تصل بهم هذه الطاعات إلى دخول الجنة وفعلوا سيئات لم تصل بهم هذه السيئات إلى دخول النار.

ستجد قولًا منتشرًا في كتب التفاسير أن هؤلاء الذين جاهدوا وعصوا آبائهم، خرجوا للجهاد وكانوا عاصين لآبائهم.

لكن لماذا اختار الناس هذا القول؟ قالوا أننا سنأتي بأعلى طاعة وهي الجهاد، وأعلى معصية وهي العقوق، فهؤلاء جمعوا بين الاثنين.

كانوا يعملون من أعالي الطاعات؛ مجاهدين، وكانوا يعملون أعالي المعصية؛ وهي العقوق، فوقفوا في المنتصف.

بعضهم قال لا، فهنا قال ربنا رجال والطاعة الوحيدة الخاصة بالرجال هي الجهاد.

هذا لكي تعرف كيف يفكر المفسرين، ومن اختار هذا القول، وهذا القول مروي عن بعض السلف لكن ليس هو الأرجح وهناك حديث ضعيف جدًا في هذه المسألة فلا يستشهد به.

فالشاهد أن هؤلاء أناس تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، ويدل على ذلك -ركز - أنهم يعرفون الاثنين.

كان مترددًا، يعرف أهل الجنة وسينادي عليهم، ويعرف أهل النار المستكبرين وسينادي عليهم.

كان يعرف الاثنين لم ينحز إلى فئة معينة، لم يختر الانضمام، بل كان يسمع هؤلاء ويسمع هؤلاء، فكان يعرف الاثنين فتكلم مع هؤلاء وتكلم مع هؤلاء.

لابد أن تأتي عليك مرحلة وأن تقوم بالفصل {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ} [البقرة ٢٤٩] لابد أن تفصل، لا يجوز أن تكون مترددًا.

أريد أجمع بين هؤلاء وهؤلاء، أريد أن أصلي التراويح وأستمع وأخرج للجلوس على القهوة وأشرب شيشة وأستمتع وأذهب إلى هذا وذاك، أريد أن أفعل هذا وذاك، أريد أن أسمع عبد الباسط عبد الصمد وأسمع الحصري وأيضًا بعدها أن أدلل نفسي قليلًا... ويظل مترددًا مترددًا مترددًا. لكن لماذا لا تريد أن تفصل؟ لماذا تعرض نفسك لهذا الخطر؟

مسألة تساوي الحسنات والسيئات أمر عجيب، لذلك بعض المتأخرين مثل ابن عاشور وغيره وحبنكة الميداني وغيره لم يستوعب، قال لا، ليس هنالك شيء اسمه متوازنين، لا، بل هم أناس فقط متأخرون في دخول الجنة. لا يتخيل معنى أن يظل الميزان متوازنًا، قالوا لا، بل هم أناس سيتأخر دخولهم للجنة.

بمعنى أنهم سيدخلون الجنة وحسناتهم أكثر من سيئاتهم لكن عملوا معاصي ثقيلة أخرت دخولهم الجنة، لكن دعونا مع رأي جمهور المفسرين.

هل تعلم معنى أن تصل دقة الميزان لدرجة حدوث التوازن، حسنة سيئة حسنة سيئة حسنة سيئة.

تندم على ركعة الوتر التي لم تصلها، تندم على الجنيه الذي ترددت في إخراجه أم إبقائه ثم أبقيته، تندم على التسبيحة، تندم على الذكر، تندم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على كل فعلة واحدة تركتها في الطاعة تندم عليها في هذه اللحظة، في لحظة الميزان وهو يتوازن.

لا تحقرن من المعروف شيئًا وأيضًا لا تحقرن من السيئات شيئًا.

تكون مرعوبًا وتنظر يا ترى ما الذي بقي ولم يتم وزنه، أنت ترى أن هناك توازنًا وتقاربًا، يا ترى هل الذي سيتم وزنه سيئة أم حسنة؟ هذا المشهد الدقيق المعبر عن دقة هذا الميزان.

*ماذا قلنا في أول السورة؟ قلنا ثقلت موازينه وخفت موازينه، نريد دائمًا ونحن نأخذ السورة –وهذا الذي سيساعدك أن تحفظ السورة وتصلى بها– أننا نأخذها صفحة صفحة.

فحاول أن تحفظ عدد الآيات الذي نأخذه، واحفظه وحاول أن تأتي بالسورة دائمًا من أولها، بمعنى أننا عندما نأخذ صفحة، ارجع فاقرأها من أولها حتى تشعر بترابط هذه السورة؛ لأن السورة طويلة من أطول السور– ليس في عدد الآيات – بعد سورة البقرة.

هذه السورة المتناسقة تجد أنه في البداية ذكر الميزان ثم هنا ذكر دقة الموازين، هذه الدقة المتناهية أن هناك أناسًا وصلوا للمنتصف تمامًا، ميزان أدق من ميزان الذهب.

هؤلاء الناس كانوا يعرفون كلًا بسيماهم، يعرفون أهل الجنة من النعيم ويعرفون الأشخاص من الدنيا ويعرفون أهل النار من –والعياذ بالله– قال بعضهم: من سقوط جلود الوجه –والعياذ بالله–.

فإما أن هذا عذاب مخصص للمستكبرين أنهم يعرفونهم من الدنيا، والدليل أنهم كانوا يعرفون هؤلاء الأشخاص تحديدًا، فيقول له أتذكر في الدنيا {مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ} [الأعراف ٤٨] هل تتذكر ما كنت تقوله في الدنيا؟ فالأعراف هؤلاء يعرفون هؤلاء الأشخاص ويعرفون هؤلاء الأشخاص.

إذًا أول شيء، على من ينادون؟ فترتيب المتكلمين هكذا على حسب الرتبة؛ فيتكلم أهل الجنة أولًا، ثم يتكلم أصحاب الأعراف، ثم يتكلم أهل النار.

الكلام حسب الرتبة، فينادون على أصحاب الجنة {وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف ٤٦] ما معنى ذلك؟ لماذا تحديداً هنا قالوا سلام عليكم؟ لماذا تحديدًا أصحاب الأعراف عندما اختاروا كلمة يقولونها لأهل الجنة قالوا لهم: سلام عليكم؟

بعض المفسرين نظر إلى الوضع الحالي، أن هؤلاء يجلسون في الجنة وهؤلاء ما بين الجنة والنار فيقول له – وهذا اختيار الطبري– لقد نلت السلام والأمان بمعنى ما أعظم حظك، لقد عبرت، أنتم الآن في دار السلام، أما نحن فبين بين.

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [الأعراف ٤٦]: اطمئنوا سالمين..فبعض المفسرين نظر إلى الوضع الحالي.

وبعض المفسرين نظر إلى الوضع الماضي، وهذا من المفسرين المتأخرين قال: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} الآن استرحتم من تعذيب هؤلاء، الآن نسيتم كل الألم، {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} الآن تعيشون في سلام وأمان.

هل فهمتم الفرق؟

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [الأعراف ٤٦]

لقد قلنا من البداية –لأن الخلاف سيظل موجودًا–، أن هناك أناسًا قالوا أن أصحاب الأعراف هؤلاء ملائكة، بمعنى أن هناك أناس قالوا أن هم ملائكة في الأصل وأن الملائكة قالوا لأهل الجنة {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [الأعراف ٤٦] وقالوا لأهل النار {مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ} [الأعراف ٤٨]، لكننا قلنا أننا سنختار –وهذا قول جمهور المفسرين– أن أصحاب الأعراف تساوت حسناتهم مع سيئاتهم.

فأصحاب الأعراف مشغول بأن ينال السلام ويحصل على السلام والأمن والطمأنينة، فأول كلمة يقولها عندما يرى أهل الجنة يقول لهم ما أعظم حظك فأنت الآن في دار السلام، أو يقول له هل تذكر شيئًا من العذاب؟ هل تذكر شيئا من الألم؟ سلام عليكم، أنت الآن في سلام وأمان وطمأنينة.

{سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف ٤٦] أغلب المفسرين أن في هذه اللحظات حينما ينظر أصحاب الأعراف إلى أهل الجنة ويقولون لهم سلام عليكم، في هذه اللحظات يشتاق أهل الأعراف لدخول الجنة، فيقول الله –عز وجل– أو تقول الملائكة في هذه اللحظات {لَمْ يَدْخُلُوهَا} أي أن أهل الأعراف لم يدخلوا الجنة، {وَهُمْ يَطْمَعُونَ} دخول الجنة.

بمعنى أنه في هذه اللحظة وكأن أهل الأعراف في هذه اللحظة يبكون طمعًا وشوقًا لدخول الجنة.

عندما نظر على أهل الجنة قال يا ليتني كنت معكم وبكى، فيقول الله ﷻ: {لَمْ يَدْخُلُوهَا} [الأعراف ٤٦]

لذا فالفاعل هنا لم يدخلوها، من؟

أصحاب الأعراف، يوضع في الاعتبار دائمًا أن الخلاف في على من تعود الضمائر يؤدي إلى الاختلاف في تفسير العلماء للآيات.

{لَمْ يَدْخُلُوهَا} [الأعراف ٤٦] أي أن أهل الأعراف لم يدخلوا الجنة، وهم الآن يطمعون، لذلك قال الحسن: والله ما وضع الله الطمع في قلوبهم إلا لخير أراده بهم.

ربنا وضع هذا الطمع كي يدخلهم، كي يسعدهم، أنت عندما تكون تطمع في شيء وربنا يعطيه لك، تسعد.

فيقول كثير من السلف، روي عن الحسن وغيره أن هذا الطمع الذي في قلوبهم، وضعه الله في قلوبهم ليدخلهم الجنة.

{لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}[الأعراف ٤٦] وبعض أهل العلم قال أن أهل الجنة لم يدخلوها وهم يطمعون أي وهم يطمعون الآن دخولها.

لكننا قد قلنا من قبل أن هؤلاء قد استقروا سابقًا في الجنة وإن {لَمْ يَدْخُلُوهَا} [الأعراف ٤٦] أي أن أهل الأعراف لم يدخلوا الجنة، وهم الآن في مرحلة الوقوف على الأعراف.

أهل الأعراف واقفين يتكلمون مع أهل الجنة في هذا المشهد الجميل ويقولون لهم سلام عليكم والطمع يزداد وفجأة وأنت تقرأ الآيات -يسمونها إذا الفجائية-:

{وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ} [الأعراف ٤٧] ليس وإذا صرفوا أبصارهم بل {وَإِذَا صُرِفَتْ} صرفت هذا فعل مبني لغير الفاعل، فعل مبنى للمجهول، صرف أحد وجههم غصبًا عنهم.

{صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ} [الأعراف ٤٧] هناك قوة جعلت البصر ينصرف.

شخص يتكلم مع أهل الجنة وهو سعيد، فجأة ينصرف بصره غصبًا عنه {صُرِفَتْ}

فقال بعضهم: الملائكة تقوم بِلَيّ أعناقهم.

والبعض قال أن الصارف هنا أمر معنوي: صراخ وعذاب أهل النار يجعلهم لا يتمالكون إلا وينظرون.

مثلًا أن تسمع صوتًا يجبرك على النظر غصبًا عنك.

{وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ} [الأعراف ٤٧] تخيل المشهد لو اخترنا قول أنه سمع صوت صراخ أهل النار فانصرف فبمجرد ما وجد أهل النار يعذبون قال {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف ٤٧] أريدك أن تعيش المشهد.

أهم الأشياء التي تؤثر فيك في القرآن معايشة المشاهد، هم يتكلمون مع أهل الجنة أن سلام عليكم، ختم المشهد قال ربنا { لَمْ يَدْخُلُوهَا} لم يدخلوها بعد {وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف ٤٦] في هذه اللحظات يستمع إلى شيء أو تأتي الملائكة تصرف وجوههم فينظرون إلى النار، قبل أن يتكلموا مع أهل النار مثلما تكلموا مع أهل الجنة، قبل أن يتكلموا مع أهل النار يستعيذون أولًا {رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}.

وبعد أن استعاذوا {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا} [الأعراف ٤٨] أين؟ أين يوجد هؤلاء الرجال؟ في النار.

{رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ} [الأعراف ٤٨] أشخاص معينون {قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأعراف ٤٨]

ال "ما" هذه يسمونها "ما"–لقد أخذنا أنواعًا كثيرة من "ما"– هناك "ما" نافية وهناك "ما"...

هل يعرف أحدكم ما نوع "ما" هنا؟ كي يثلج صدري ويكون متفوقًا؟ "ما" مصدرية. ماذا تعني مصدرية؟

بمعنى ما أغنى عنكم جمعكم وما أغنى عنكم استكباركم، كما قلنا أن "ما" مع فعل بمعنى ما أغنى عنكم جمعكم وما أغنى عنكم كونكم مستكبرين.

ماذا فعل الاستكبار لكم؟

والجمع المال والجمع من العدة والعتاد والناس والأتباع، ماذا فعل لكم؟

هذه هي الأشياء التي جعلت أصحاب الأعراف غير منطلقين مع أهل الإيمان: خوفهم من استكبار هؤلاء، وخوفهم وانبهارهم بالجمع سواء جمع الناس أو جمع المال. قالوا ولكن أين ذهبت هذه الأشياء؟

هل ضاعت هذه الأشياء منك؟ {مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأعراف ٤٨] بعض المفسرين قال أن هذه مقارنة عندما قال لأهل الإيمان {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [الأعراف ٤٦] وقال لأهل النار {جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأعراف ٤٨]

كأن أهل الأعراف رجعوا خطوة للخلف وقاموا بمقارنة فى الدنيا، كيف كان هؤلاء مستضعفين لا ينالهم السلام ولا الأمان وهؤلاء معهم الجمع والاستكبار، الآن هؤلاء فى سلام وأمان، وهؤلاء ضاع عنهم جمعهم وضاع عنهم استكبارهم.

فكأن المقارنة التي قاموا بها فى الآخرة، كانوا يقومون بها فى الدنيا، أنه ظل يقارن هل أمشي مع هؤلاء أم هؤلاء، ولكن هؤلاء مستضعفين ومعذبين، فلماذا أعرض نفسي للأذى، هل أمشي مع هؤلاء؟ ولكن هؤلاء أيضًا لديهم كفر وشرك، فلم يمشِ معهم، هذا التردد هو الذي جعلهم من أهل الأعراف.

"ما" الأولى تعجبية {مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ} [الأعراف ٤٨] استفهام تعجبي "ما" الثانية مصدرية {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأعراف ٤٨].

{مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأعراف ٤٨] أي سؤال لا يراد منه إجابة حقيقة يكون له غرض آخر، ولكن الغرض غير السؤال فهم هنا يتعجبون ويستنكرون عليهم، أين جمعكم وما كنتم تستكبرون؟

{أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ} [الأعراف ٤٩] ركز معي.

هناك قولان معتبرين هنا في الآية.

من المخاطب؟ أهل النار، أهؤلاء؟ يُسألون.

هناك أحد يسألهم ويقول لهم {أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ} [الأعراف ٤٩]. من الذي يسألهم؟ هناك خلاف.

هناك قول أن الله يسألهم عن أهل الأعراف، ربنا يسأل أهل النار، الله يقول لأهل النار أهؤلاء..، أنتم كنتم تقولون على أهل الأعراف والله لن تدخلوا الجنة؟ {أَهؤُلاءِ الَّذينَ أَقسَمتُم لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحمَةٍ} [الأعراف ٤٩]

فيبكتهم الله ويقول لأهل الأعراف {ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} [الأعراف ٤٩].

مرة أخرى، القول الأول أن من الذي سيَسأل؟ الله -سبحانه وتعالى-.

من سيُسأل؟ أهل النار.

يسألهم عن من؟ عن أهل الأعراف.

إذًا فيجب أن نصل أن هناك ثلاثة: الله □ يسأل أهل النار عن أهل الأعراف.

يقول للمشركين أنتم كنتم تحلفون أن هؤلاء الناس لن يدخلوا الجنة، إذًا سيدخلون الجنة.

ولكن لماذا كان يحلف المشركين لأهل الأعراف في الدنيا أنهم لن يدخلوا الجنة؟

أهل الأعراف كانوا مترددين يذهبون لهؤلاء ويسمعون لهؤلاء، فأهل النار كي يؤكدوا لهم أن إيمانكم لا يجدي، فيقولون والله لن تدخل الجنة يا أخي! ستظل جالسًا معنا، والله لن ينفعوك بشيء.

انظر، يقسم المشرك، يحلف للمتردد أنه لن يدخل الجنة حتى يحبط ولا يذهب لأهل الإيمان ثانية، يريد أن يجلسه معه.

كنا نتكلم في قوله -سبحانه وتعالى- {أَهؤُلاءِ الَّذينَ أَقسَمتُم لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحمَةٍ} [الأعراف ٤٩] هذا سؤال. الكل متفق أن المخاطب من؟ أهل النار.

الخلاف في: من الذي يسأل أهل النار ويسألهم عن من؟

إذًا أهل النار يُسألون.

على أي حال، في كل الأقوال أهل النار هم الذين أقسموا في الدنيا أن الله ﷻ لن يدخل أناسًا الجنة.

الكل متفق أن أهل النار أقسموا فى الدنيا، كانوا يقسمون على أناس أنهم لن تنالهم رحمة الله.

ولكن أهل النار كانوا يقسمون على من؟ لو أن السائل هنا، قالوا أن السائل هو رب العزة -سبحانه وتعالى-، فالله -عز وجل- يسأل أهل النار ويقول لهم: أكنتم تقولون عن أهل الأعراف أني لن أرحمهم؟ سأرحمهم نكاية فيكم ويدخلهم الله -عز وجل- الجنة، فيقول الله -عز وجل-

{أَهؤُلاءِ الَّذينَ أَقسَمتُم لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحمَةٍ ادخُلُوا الجَنَّةَ} [الأعراف ٤٩] إذًا ادخلوا الجنة هذا أمر من الله -عز وجل- أن أهل الأعراف يدخلون الجنة {لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ} [الأعراف ٤٩].

فريق من المفسرين قال لا، السائل هنا أهل الأعراف وأن الخطاب مستمر من أهل الأعراف، أهل الأعراف قالوا لأهل النار {ما أَغنى عَنكُم جَمعُكُم وَما كُنتُم تَستَكبِرونَ} [الأعراف ٤٨] ثم تعجب أهل الأعراف: أهل الأعراف واقفون هكذا ينظرون إلى أهل النار، على أشخاص معينين من أهل النار وينظرون إلى الفقراء المستضعفين فى الجنة.

فأهل الأعراف يقولون لأهل النار: ألم تكونوا تقولون على أهل الجنة هؤلاء، هؤلاء الفقراء كنتم تقولون لنا: والله هؤلاء الناس على خطأ!

ألم تكونوا تخدعوننا، أولم تكونوا تقولون لنا عن هؤلاء المستضعفين أن الله لن يرحمهم، الآن هم دخلوا الجنة ونحن على الأعراف وأنتم في النار... واضح؟

إذًا فقد كان أهل النار يخدعون أهل الأعراف، لأن أهل الأعراف كانوا في الأصل مترددين.

فأهل النار كانوا يمارسون نوعًا من الضغط النفسي على أهل الأعراف.

إما أنهم كانوا يقسمون لأهل الأعراف: والله لن تدخل الجنة، انتهى الأمر، ليس هناك أمل مرجو منك، لذا فكن معنا لأنك متردد.

أو يذهب لأهل الأعراف ويقول له أنت متأثر بهؤلاء؟ أنت مقتنع بهؤلاء الناس، هؤلاء الناس والله لن يروا جنة، هؤلاء الناس التي تصلي هؤلاء مراؤون هؤلاء أشرار فلا تمشِ معهم.

من الذي يحذر من؟

أهل النار يحذرون المتردد في الدنيا، فأهل الأعراف يوم القيامة يستغربون ويقولون لأهل النار أليس هؤلاء الذين هم في الجنة الآن؟ أليس هؤلاء الذين دخلوا الجنة كنتم تقسمون لنا أنهم لن يدخلوا الجنة؟ هؤلاء الآن في الجنة! ونحن على الأعراف وأنتم في النار.

وبهذا ينتهي مشهد أهل الأعراف {ادخُلُوا الجَنَّةَ} فيكون ذلك خطاب لأهل الجنة أي استمروا في الجنة.

وبعض المفسرين قال أنه عندما وصل أهل الأعراف لهذه المرحلة وتعجبوا من أهل النار، قال ربنا لهم {ادخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوفٌ عَلَيكُم وَلا أَنتُم تَحزَنونَ} [الأعراف ٤٩].

استوقفتني قضية أن المشرك يقسم أهؤلاء الذين ماذا؟ {أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ} [الأعراف ٤٩].
حاولت أن أجمع أقسام المشركين والمنافقين في القرآن.

حاولوا أن تفعلوا ذلك وأنتم تختمون القرآن، على ماذا أقسم المشركون والمنافقون؟

المشركين أقسموا على أشياء، والمنافقون الذين لم يظهروا الشرك كانوا يبطنون النفاق أقسموا على أشياء.

تجد أن أهل الشرك أقسموا أن أهل الجنة لن يدخلوا الجنة، بمعنى أنه عندما يأتي أحد ضال مشرك بعيد عن الله، يحلف أن أهل الخير على خطأ وأنهم أشرار، مثلما قلنا المرة السابقة أن المستضعفين يقولون للقادة {ما لَنا لا نَرى رِجالًا كُنّا نَعُدُّهُم مِنَ الأَشرارِ} [ص ٦٢] ألم تكونوا تقولون لنا أنهم اشرار، إذًا لماذا لم يدخل هؤلاء الناس النار معنا؟

هؤلاء الناس ليسوا موجودين في النار، لماذا وقد قلتم لنا أنهم أشرارًا؟ فيقسمون ويقسمون {لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا} [الأنعام ١٠٩] جهد أيمانهم ويقسمون ما لهم من زوال. {أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ} [إبراهيم ٤٤] يحلف أنه سيستمر وأن عرشه مستمر وأنه لن يزيله أحد.

عندما تجمع أقسام المشركين تفهم، وأقسموا أيضًا {لا يَبعَثُ اللَّهُ مَن يَموتُ} [النحل ٣٨] تجد أن المشرك يؤكد الباطل بالقسم، المشرك يعرف منزلة القسم عند المؤمن؛ فيؤكد ما هو عليه بالقسم.

إنما المنافق يقسم {لَئِن أَمَرتَهُم لَيَخرُجُنَّ} [النور ٥٣] والله لو الدين يريد مني شيئًا، سأنفذه في الحال {قُل لَّا تُقْسِمُوا ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ} [النور ٥٣] الذي يطيع معروف ليس بالكلام. لذا وأنت تختم، جمّع على ماذا أقسم المشركون؟

{أَهؤُلاءِ الَّذينَ أَقسَمتُم لا يَنالُهُمُ اللَّهُ بِرَحمَةٍ ادخُلُوا الجَنَّةَ لا خَوفٌ عَلَيكُم وَلا أَنتُم تَحزَنونَ} [الأعراف ٤٩] انتهى كلام أهل الأعراف.

تكلم أهل الجنة ثم تكلم أهل الاعراف ثم يتكلم الآن –والعياذ بالله– أهل النار {وَنادى أَصحابُ النّارِ أَصحابَ الجَنَّةِ أَن أَفيضوا عَلَينا مِنَ الماءِ أَو مِمّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [الأعراف ٥٠]

إذًا لقد قلنا أن أهل الجنة، غالبًا السياق يسير بنا على أن أهل الجنة هؤلاء الذين كانوا مستضعفين في الدنيا، وأن أهل النار هنا الذين كانوا يعذبونهم في الدنيا.

وأن أهل الأعراف الذين كانوا مترددين وكانوا خائفين من جمع واستكبار القادة أهل النار في الدنيا، وكانوا ينظرون إلى أهل الإيمان المستضعفين، وكانوا يودون أن يكونوا معهم، وكانوا مترددين؛ ولكن اختاروا الإيمان ولكن لم يُقدموا عليه.

هذا المعنى ممكن استنباطه من سياق الآيات.

لذلك كما كان هؤلاء يمنعون الماء عنهم، هؤلاء أهل النار يمنعون الماء عن أهل الجنة في الدنيا، الآن يمنعون من الماء {أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ} [الأعراف ٥٠].

لذلك ورد عن بعض السلف {وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ} [الأعراف ٤٨] قال بعض السلف: ينادون على رجال عظماء في الدنيا. لا ينادون على أي أحد، بل ينادون على القادة.

لقد قلنا أن هذا المعنى موجود معنا في السورة " أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ " و"لكل ضعفين" المعنى هذا موجود.

وقال هذا قول ابن زيد قال السدي: ينادون على أناس من الجبارين.

لا ينادون على أي أحد.

هذا معناه أن أهل الأعراف عندما يختارون الناس الذين ينادون عليهم، ينادون على الجبارين، العظماء الذين كانوا في الدنيا.

هؤلاء الجبارون العظماء الذين كانوا في الدنيا، الآن ينادون على المستضعفين حينما دخلوا الجنة، ويقولون لهم {أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّه} [الأعراف ٥٠] أفيضوا: الفيضان هذا هو الكثرة. هم يرون أن الجنة مليئة بالخير {أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّه} [الأعراف ٥٠] "ما"... دائماً حرف ما في اللغة يحتاج فهم، يسمونه أبهم حرف في اللغة؛ حرف مبهم.

بمعنى عندما تكون مستغربًا من شيء تستعمل حرف "ما" أو "مما".. الشيء العظيم! هم لا يعرفون بالضبط ماذا يوجد في الجنة، هم يعرفون المياه {أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ} [الأعراف ٥٠] أو أي شيء مما هو موجود عندكم {أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّه} [الأعراف ٥٠].

أهل النار في الأصل لا يرون أهل الجنة، لكن بعض أهل العلم قال يفتح لهم كوات مثل النوافذ.

هذه الفتحات مفتوحة كي يتشفى أهل الجنة وكي يزداد أهل النار عذابًا ثم تغلق.

بمعنى أن هذه الفتحة أو العلاقة هذه أن أهل الجنة يكلمون أهله النار {قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ} [الصافات ٥٤] بمعنى أنه من نعيمهم أن الملائكة تقول لهم -تقول لأهل الجنة- هل تريدون أن تروا أهل النار؟

{هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ} [الصافات ٥٤] قالوا نعم، {فَاطَّلَعَ} ينظر على قرينه الذي كان يريد أن يغويه {فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} [الصافات ٥٥].

بمعنى أنه يعرض على أهل الجنة، فيقال لهم أتريدون أن تذهبوا وتنظروا إلى الذين كانوا يعذبونكم في الدنيا؟ {هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ} [الصافات ٥٤]

فاطلع يقول له أنا موافق أريد أن أنظر إليه {فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} [الصافات ٥٥].

فهذه الفتحات مصنوعة لزيادة تعذيبهم فيفتح له الجنة، بالضبط مثل حديث النبي ﷺ أن المؤمن عندما يدخل القبر يفتح له باب إلى النار، فيتعوذ ثم يغلق ويقال له هذا منزلك لو كنت عصيت الله

والعاصي والفاجر والكافر يفتح له باب إلى الجنة فيتحسر، فيقال له هذا منزلك لو كنت أطعت الله[٢].

هذا العذاب النفسي.

فحينما ينظر أهل النار إلى أهل الجنة {أَفِيضُوا عَلَيْنَا} وأول شيء يطلبونه هو الماء -والعياذ بالله- لشدة الحر والألم، بل قال بعض أهل العلم: ينادي الرجل على أخيه وعلى أبيه بعد أن تفحم وسقط لحم وجهه فلا يجيبه أخوه ولا أبوه.

انتهي الأمر، القواطع {وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ} [البقرة ١٦٦] الأنساب تقطعت، ينادي عليه {أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّه} [الأعراف ٥٠]

أهل النار في الدنيا المستكبرين كانوا يمنعون الماء استكبارًا! أما أهل الجنة يمنعون الماء طاعة لله {إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا} [الأعراف ٥٠] بأمر من الله، لأنه لَيس هناك شرع هنا، ليس هنالك تشريع.

{إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِين} [الأعراف ٥٠-٥١]

- بعض أهل العلم قال أن هذه من عبارات أهل الجنة، ما زال أهل الجنة يبكتوهم، يقول له أنت نسيت {الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} [الأعراف ٥١] أنت كنت تلعب بالدين {يَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف ٤٥].

ما معنى {اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} [الأعراف ٥١]؟

بعض أهل العلم قال: كما كان يتعامل أهل الدنيا مع اللهو واللعب يعرضون عنهما، كان أهل النار يتعاملون مع الدين، يعرضون عنه.

- بمعنى أن الرجل الجاد الناجح في دنياه -دعونا حتى كي تتصور المعنى-، شخص ناجح في الدنيا عندما يعرض عليه اللهو واللعب، يقول لك لا، هذا تضييع للوقت. هم كانوا يتعاملون مع الدين هكذا على أنه مضيعة للوقت، أنه لهو ولعب.

[٢][عن أبي سعيد الخدري:] يا أيُّها النّاسُ ! إنَّ هذه الأمَّةَ تُبتلى في قبورِها، فإذا الإنسانُ دُفِن فتفرَّق عنه أصحابُه؛ جاءه ملَكٌ في يدِه مِطراقٌ فأقعده، قال: ما تقولُ في هذا الرَّجلِ؟ فإن كان مؤمنًا؛ قال: أشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وأنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، فيقولُ: صدقتَ، ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى النّارِ فيقولُ: هذا كان منزلُك لو كفرتَ بربِّك؛ فأمّا إذ آمنتَ؛ فهذا منزلُك؛ فيُفتَحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ، فيريدُ أن ينهضَ إليه، فيقولُ له: اسكُنْ ! ويُفسَحُ له في قبرِه. وإن كان كافرًا أو منافقًا؛ يقولُ له: ما تقولُ في هذا الرَّجلِ؟ فيقولُ: لا أدري، سمِعتُ النّاسَ يقولون شيئًا، فيقولُ: لا دَرَيْتَ ولا تلَيْتَ ولا اهتديتَ ! ثمَّ يُفتَحُ له بابٌ إلى الجنَّةِ، فيقولُ: هذا منزلُك لو آمنتَ بربِّك، فأمّا إذ كفرتَ به؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أبدلك به هذا، ويُفتَحُ له بابٌ إلى النّارِ، ثمَّ يقمعُه قَمعةً بالمِطراقِ، يسمعُها خلقُ اللهِ كلُّهم غيرَ الثَّقَلَيْن. فقال بعضُ القومِ: يا رسولَ اللهِ ! ما أحدٌ يقومُ عليه ملَكٌ في يدِه مِطراقٌ إلّا هبِل عند ذلك؟ ! فقال رسولُ اللهِ ﷺ: يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ الألباني (ت ١٤٢٠)، السلسلة الصحيحة ٣٣٩٤ • إسناده صحيح

{اتَّخَذُوا دِينَهُمْ} [الأعراف ٥١] أي نظروا، أحد المعاني: أي نظروا إلى الدين على أنه لهو ولعب، بمعنى انظر إلى الناس التي تصلي، يقول لك هؤلاء الناس يمزحون وانظر إلى ما يفعلونه كي يضيعوا الوقت.

أو ينفق، فيقول ماذا يفعل هذا الرجل؟ أعطى أحدًا لا يعرفه مالًا؟! ينظرون إلى الدين على أنه مجرد لهو ولعب.

وقال بعض أهل العلم اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا: أي كانوا يسخرون، يلعبون، يعرف الدين على أنه مزحة {وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ} [المطففين ٣٠-٣١] يستغلون موضوع الدين {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي} [المؤمنون ١١٠] أصبح موضوع الدين بالنسبة له سخرية.

- يعمل برنامجًا لكي يسخر من الدين.

بمعنى أن مصدر رزقه {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة ٨٢] أحد مصادر الرزق-لأن هذا أحد أوجه الآية- أحد مصادر الرزق أنه يسخر من الدين.

فهو عندما يحب أن ينتشر قليلًا، بإمكانه أن يسخر من الدين، فهذا أحد معاني {اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} [الأعراف ٥١] يسخر من الدين، من تشريع الله ومن السائرين في الطريق. وهذا أحد أوجه الصد.

وهذا الأمر -السخرية- من أشد أوجه الصد عن سبيل الله -السخرية-.

لذلك بعض المفسرين مثل الشيخ حبنكة من المتأخرين حاول أن يجمع كلمة {اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} [الأعراف ٥١] في القرآن أيضًا، وجدها في خمس أو ست مواضع: مرة في الأنعام ومرة في الأعراف واثنين في المائدة

وحاول أن يأتي بالمواطن.

فوجدها مرة في العقائد، ومرة في الصلاة، ومرة عند الأذان، ومرة في الولاء والبراء.

هذه مواطن يسخر منها أهل الباطل. {اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} [الأعراف ٥١]

فإما معنى {اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا} [الأعراف ٥١] أن الدين بالنسبة له كان ينظر إلى الذين يسيرون في طريق الدين على أنه يلهون ويلعبون، في حين أن العكس، ربنا سمى الدنيا لهوًا ولعبًا {أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [محمد ٣٦] [الحديد ٢٠]

الدنيا لهو، هم عكسوا، قالوا إنما الدين لهو ولعب.

هناك خطاب لأهل الإيمان {وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا} [البقرة ٢٣١] الكافر اتخذ الدين كله لهو ولعب.

يوجد نهي لأهل الإيمان في سورة البقرة في آية الطلاق {وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا} [البقرة ٢٣١] **إذًا ما معناها؟**

الآية نزلت في الذي يطلق زوجته، حتى إذا قاربت انقضاء العدة ردها مرة أخرى، ثم يطلقها حتى إذا قاربت انتهاء العدة ردها مرة أخرى، يعضلها، إلى متى؟ حتى تقول له في النهاية طلقني وأنا أتنازل لك عن كل شيء.

ظاهريًا لا يمكن لأي شخص أن يمسك عليه زلة، يقول هل فعلت شيئًا حرامًا؟ أنا طلقتها، ثم وقد شارفت العدة على الانتهاء، يقول لا، لقد أحببتها مرة أخرى، أنا أريدها، وبعدها يطلقها.

ظاهريًا ولكنه هكذا يلعب بالدين.

*فأحيانًا هناك أناس أنت ممكن ظاهريًا تعتقد أنه لا يفعل شيئًا خطأ لكنه هو يهزأ بالدين، هذا يعاقبه الله –عز وجل– عقابًا أليمًا، لأنه يلعب بالدين، استغل الدين لتحقيق هواه، ليضار.

وكذلك أيضًا مما ذكر في سورة الأعراف، من الذين حاولوا يلعبوا بأوامر الشريعة، من؟

الذين احتالوا ولعبوا على أوامر الشريعة، من في سورة الأعراف؟

- أصحاب السبت، يأتي لهم الأمر بالنهي عن الصيد يوم السبت، فيضعون الشباك يوم الجمعة وينزعونها يوم الأحد، هذا لعب.

يقول هل فعلنا شيئًا خطأ، هل اصطدنا يوم السبت؟ النهي عن يوم السبت، هل اصطدنا يوم السبت؟

هذا الباب، اللعب في الدين عقابه أشد. لذلك مسخوا والعياذ بالله.

وكذلك الذي يتعامل بهذا الدين قد تمسخ نفسه ويبغض إليه الدين -والعياذ بالله-.

{الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [الأعراف ٥١] غرتهم الحياة الدنيا هي بالضبط {وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ} [الأعراف ٤٥] نفس التوصيف: اختار الدنيا ورفض الآخرة.

فاليوم يقول الله -عز وجل- {فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا} [الأعراف ٥١] هم كانوا في الدنيا متناسين أن هناك آخرة أم كانوا متجاهلين؟

لذلك قالوا هنا نسيان بمعنى الترك ليس أن ينساهم ربنا، لا.

لذلك قال بعض أهل العلم نسيان الله لهم من الخير ولم ينساهم من الشر.

فكلمة "كما" مثلما كانوا لا يبالون بالدين ونداءات أهل الدين لهم، كذلك لا يبالي الله بهم ولا بصراخهم في النار.

{فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ} كأنهم غير موجودين صراخ، ويستمر البكاء والعويل في النار -والعياذ بالله- {فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا} [الأعراف ٥١] أي: وكما كانوا -ولا يستحب الوقف هنا-.

{كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا} أي وكما كانوا {بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف ٥١].

بمعنى أنه أيضًا بعض أهل العلم قال ان "ما" هنا هي مصدرية أي وبسبب كونهم يجحدون بآياتنا.

لأنك لو وقفت وقلت {كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا} وقفت ثم قلت {وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف ٥١] يمكن أن تفهم أنها ما "نافية" وتنفي عنهم جريمة قاموا بها، فهم كانوا يجحدون بآيات الله.

انتبه، وما كانوا ماذا؟

بآياتنا، لقد قلنا أن من محاور سورة الأعراف قضية الآيات، تكذيب الآيات، جحد الآيات، ظلم الآيات، الإعراض عن الآيات.

{وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ} [الأعراف ٥١-٥٢] نكمل هذه الآية المرة القادمة بإذن الله -عز وجل- وعلاقتها بهذه الآية، لكن حتى لا ننسى أن من المعنى الأساسي في سورة الأعراف التعامل الخاطئ مع الآيات.

هناك أناس يستجيبون للآيات، هناك أناس يعرضون، هناك أناس يترددون، هناك أناس ينسلخون من الآيات بعد أن قبلوها، وهناك أناس بعد أن ترددوا انطلقوا إلى أهل الإيمان، وهناك أناس يجحدون بآيات الله، هذه الاختلافات أشبه بتعامل الأرض مع المطر وهذا هو المثل الذي سوف يأتي المرة القادمة بإذن الله -عز وجل-.

أرض تقبل المطر وتفرح به وتنبت وأرض خبيثة لا تحفظ شيئًا من المطر.

سوف تأتي في المرة القادمة بإذن الله -عز وجل- هذه المقدمة، ثم الأمثلة العملية: كيف تعامل الأقوام مع الرسل؟ كيف استقبل الأقوام آيات الله -عز وجل-؟

ومنهم من أعرض، ومنهم من أنكر، ومنهم من استكبر، ومنهم من جحد. فهذا هو السياق العام لسورة الأعراف حتى نستحضر التصور العام لهذه السورة.

أسأل الله -عز وجل- أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة، وأن يجعلني وإياكم من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.